

# رسالة مفتوحة من طبيب عربي

مكانة الطب في التاريخ ماثورة  
واليوم باتت خرافات وأسطورة  
ومحنة العالم العربي كارثة  
مهما تقارن بين الأصل والصورة  
أنعى العروبة تاريخاً وخارطة  
فوق الجدار معلقة ومنشورة  
شهد الزمان حضارات مؤرخة  
في عالم الطب والعلماء مشهورة

كُلُّ الْمَدَائِنِ تَحْمِلُ اسْمَ مَوْقِعَةٍ

مقرونة برجالِ الفكرِ مذكورة

إِنِّي أَرَى فِي خَلَاْفِ الرَّأْيِ مَعْصِيَةً

ما بعدها أملٌ للفكرِ و ( الشورى )

مَنْ يَطْفَى الضَّوْءَ قَدْ بَارَتْ تِجَارِيَهُ

سيظلُّ يَنْدُبُ مَحْنَتَهُ وَتَقْصِيرَهُ

ذُلُّ الطَّيِّبِ هَوَانٌ لَا مَثِيلَ لَهُ

مهما نَحَاوُلُ زُخْرَفَةَ وَتَزْوِيرَهُ

مهما نَطْفِفُ فِي الْمِيزَانِ كَفْتَهُ

حَتَّى نَزِيدَ مَهَانَتَهُ وَتَحْقِيرَهُ

لَنْ يَرْحَمَ اللَّهُ مَنْ نَزَعُوا مَفَاصِلَهُ  
مِنْ شِدَّةِ الذِّلِّ أَوْ حَبَسُوا تَعَابِيرَهُ  
صِرْنَا قَطِيعًا تَحَرَّكُهُ غَرَائِزُهُ  
حُبُّ الْبَقَاءِ وَكُلُّ مَوَاقِفِ الْحَيْرَةِ  
رُوحُ الشَّجَاعَةِ قَدْ أَضْحَتْ مَغَامِرَةً  
مَفْقُودَةَ الْعَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ فِي (الْدِيرِهِ)  
لَوْ اكْتَبَرَ الْعَالِمُ الْعَرَبِيَّ مَهْنَتَهُ  
وَشَهَادَةَ بَدَمِ الْأَعْصَابِ مَمْهُورَةً  
وَاسْتَتَكَفَّ الْعَطْفَ إِلَّا عَطْفَ خَالِقِهِ  
مَنْ لَا يُذِلُّ وَلَا يَقْبَلُ مَعَادِيرَهُ

لرأى العبادَ إشاراتٍ مُضَلَّلَةٌ

إلا إرادةَ ربِّ العَدَلِ موفُورة

كُم أنفقَ الغربُ من أموالِهِ قَدْرًا

وأجزَلَ البذلَ أوفَى العِلْمِ تَقْدِيرَةَ

يَسْتَقِطُّ العَالِمَ المرموقَ مَنزِلَةً

فوقَ التَّصَوُّرِ كي يَنسى مَحَازِيرَةَ

سَلِ الذِّينَ تَلَقَّوا العِلْمَ مَكْرَمَةً

وفي رِحَابِ بِلَادِ قَيْلِ : ( مَخْمُورَةَ )

وكانَ أخطرُ ما في ذَهْنِ قَادَتِهِ

غَسَلُ الدِّمَاغِ بِحُسْنِ الخُلُقِ والسَّيرَةِ

حتى رَضِعْنَا سِنِيناً فِي حَضَانَتِهِ  
نَتَهَيَّبُ الذُّلَّ فِي الْأَوْطَانِ وَالْغَيْرَةِ  
حتى يُوْطِنُ آفَافاً مَهَاجِرَةً  
تَرَكَتْ مَوَاقِعَهَا فِي الْأَرْضِ مَهْجُورَةً  
حتى إِذَا عَادَ مَبْعُوثٌ إِلَى بَلَدٍ  
قَدْ أَوْفَدْتُهُ يَحْسُ النَّفْسَ مَقْهُورَةً  
وَجَدَ النِّوَافِذَ وَالْأَبْوَابَ مَغْلُوقَةً  
وَرِيَّاحُ عَزَلْتِهِ سَبَقَتْ أَعَاصِيرَهُ  
كَمْ عَابِرٍ أَلْفَ جَسْرِ فِي مَسِيرَتِهِ  
عِنْدَ الرَّحِيلِ وَقَدْ أَنْهَى مَشَاوِيرَهُ

وَجَدَ الْوَصُولَ إِلَى الْغَايَاتِ مُعْجَزَةً  
فَتَطَوَّلُ وَقْفَتَهُ وَنُطِيلُ طَابَورَهُ  
أَمَّا الْمَعْلَمُ شَمْسٌ فِي حَقِيقَتِهِ  
لَا تَتَكَرَّرُ الْعَيْنُ قَدْرَتَهُ وَلَا نَوْرَهُ  
كَالْبَحْرِ يَضْرِبُ بِالْأَمْوَاجِ شَاطِئَهُ  
يَسْتَصْرِخُ السَّفِينُ فِي الْأَعْمَاقِ مَغْمُورَةً  
كَالنَّبْعِ تَشْرَبُ صَفْوًا مِنْ حَلَاوَتِهِ  
وَيَفْجَرُ الصَّخْرَ فِي الصَّحْرَاءِ نَافُورَةً  
لَوْ أَصْبَحَ الطَّبِّ وَالتَّعْلِيمُ مَهْزَلَةً  
وَبِضَاعَةً ذَاتِ أَثْمَانٍ وَتَسْعِيرَةٍ

هَانَ الزَّمَانُ وَهَانَتْ كُلُّ مَكْرَمَةٍ

رَفَعَتْ شَعَائِرَهَا فِي كُلِّ مَعْمُورَةٍ

أَلَسْتَ تَعْجَبُ حَقَّاهُنِي عَرُوبَتِنَا

وَمَنْ يَقُولُ عَقُولُ الطَّبِّ مَأْجُورَةٌ

تَرَى الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعِلْمِ قَائِمَةً

كُلُّ يَسُوقٍ رَوَايَتُهُ وَتَفْسِيرُهُ

وِغَايَةُ الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى إِلَى بَلَدٍ

وَيَحُولَ الْعِلْمُ (بَدَلَاتٍ) وَتَأْشِيرَةٌ

وَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ يَنْجُو بَعْدَتِهِ

لِمَحَبَةِ الْغَرْبِ بَعْدَ عَدَاوَةِ الْجَبْرِ

ويأنفُ الذلَّ محتضناً كرامته

قدحاً من الخزفِ.. لا يحتملُ تكسيره

الحُزنُ يسلبنا أغلى مشاعرنا

يدمى خواطِرنا تكلّى ومنحورة

وربَّ قافيةٍ جاءتْ محطمةً

محزونة القلبِ في الأبياتِ منثورة

قولُ الحقيقةِ بعضٌ من خطيئتنا

يتضاعفُ الثمنُ في مليونِ فاتورة

في كلِّ بلدٍ عقوباتٌ مُنوعةٌ

كلُّ العواقبِ في الوجدانِ محفورة



فنهاية العُقْدِ أو تجميد تَرْقِيَةٍ

أو وَقَفُ راتبه ظُلماً وتهجيرَه

أو غاية العَدْلِ - لو كانوا ذَوِي قُرْبِي -

تشكيل مُحْكَمَةِ التَّحْقِيقِ فِي السِّيرَةِ

رَبَّاهُ عَدْلُكَ قَدْ جَارَ الزَّمَانُ بِنَا

فاجعل خَطِيئَتَنَا فِي الأَرْضِ مَغْفُورَةً

---

يوليو ١٩٨٠ (صحيفة الاتحاد)